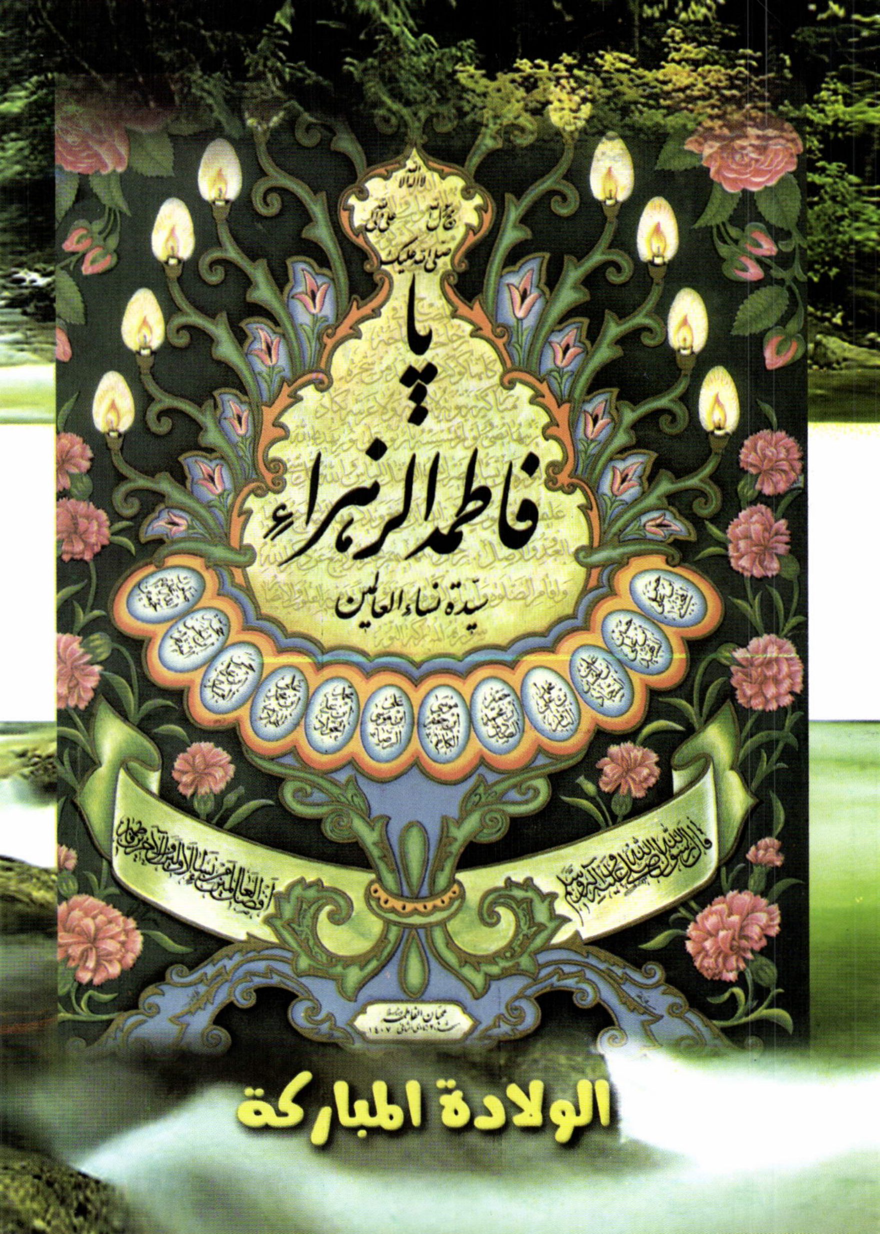


يا
فاطمة الزهراء
سيدة نساء العالمين
الولادة المباركة

اسم القصة: الولادة المباركة(ع)
اسم السلسلة: السيرة الفاطمية(ع)
إعداد :أمل طنانة
مراجعة وتصحيح: نضال علي
رسوم: سعيد عبد الساتر
إخراج وتنفيذ: محمد الناصري
الناشر: مؤسسة الأعلمي

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ - فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧
صندوق بريد: ٧١٢٠

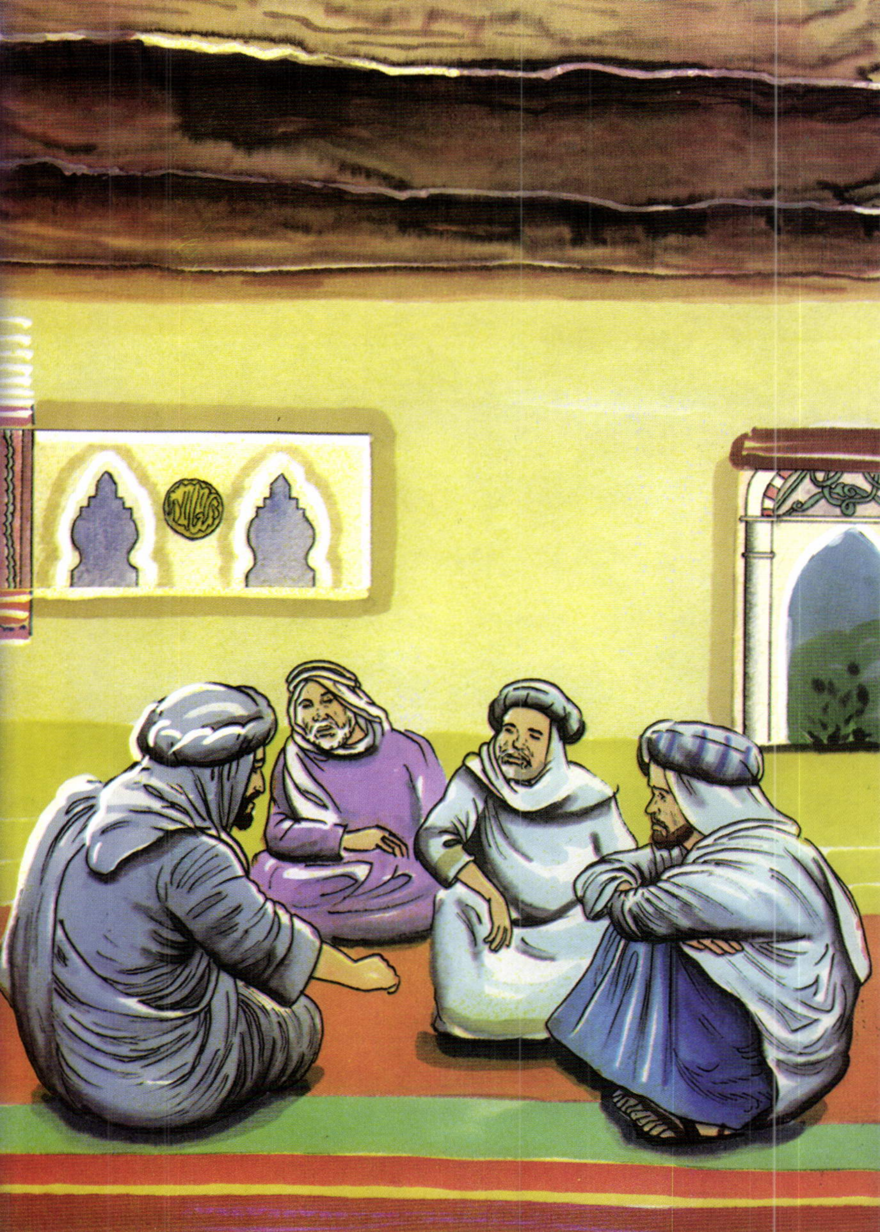
Published by Aalami Est
Beirut Airport Road
Tel:01/4504526 Fax:01/450427
P.O.Box.7120

www.alaalami.com
E-mail:alaalami@yahoo.com

سلسلة السيرة الفاطمية(ع)



الولادة المباركة



هـذِهِ هـيَ مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ، الأرْضُ الَّتي مِنْها انْبَثَق سَناءُ أَعْظَمِ رَجُلٍ عَرَفَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ(ص) خاتَمِ الرُّسلِ والأنْبياءِ..

النَبيُّ مُحَمّدٌ(ص) الْيَوْمَ في الْخامِسةِ والْعِشْرين مِنْ عُمْرِهِ، سَيِّدُ رِجالِ قَوْمِهِ بِلا اسْتِثْناءٍ، لا يُقاسُ بِواحِدٍ مِنَ الْبَشَرِ إلاّ وَكانَ أَعْظَمَ مِنْهُ.

إنَّهُ الآنَ في بَيْتِ عَمّهِ أبي طالِبٍ الَّذي احْتَضَنَهُ وَكَفِلَهُ وَفَضّلَهُ عَلى أَبْنائِهِ جَميْعاً بَعْدَ أَنْ قَضى حياتَهُ يَتيمَ الأبِ وَالأمِّ، وَبَعْدَ أنْ فَقَدَ حَنانَ جَدِّهِ الَّذي أدْرَكَ مُنْذُ وِلادَةِ حَفيدِهِ أَنَّ شَأناً عَظيماً يَنْتَظِرُهُ، وَمُسْتَقْبَلاً مُشْرِقاً لِلبَشَرِيَّةِ كُلِّها، يَفْتَحُ لَهُ ذِراعَيْهِ.

أَعْمامُ النَّبيِّ(ص) مُجْتَمِعونَ على أَمْرٍ سَعيدٍ، يَنْتَظِرونَ أُخْتَهُمُ السيّدَةَ صَفِيّةَ الّتي انْطَلَقَتْ مُنْذُ بَعْضِ الوقْتِ إلى بَيْتِ شَريفَةٍ مِنْ شَريفاتِ أهْلِ مَكّةَ.

إنَّها خَديجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ(ع). وَهِيَ سَيّدَةٌ في الأرْبَعينَ مِنْ عُمُرِها، امْرَأَةٌ بَيْضاءُ، ذَكِيّةٌ، جَميلَةٌ، عاقِلَةٌ، مُسْتَقِلَّةٌ في أُمورِها، فَهِيَ تُديرُ تِجارَةً كَبيرَةً، جَعَلَتْها مِنْ أثْرِياءِ مَكّةَ القَديرينَ على إدارَةِ حَرَكَةٍ واسِعَةٍ في الْبَيْعِ والشِّراءِ والاسْتيرادِ والتّصْديرِ..



لَقَدْ سَبَقَ لِخَديجَةَ(ع) الزّواجُ، ولكنّها الآنَ وَحيدَةٌ، زاهِدَةٌ في الرِّجالِ وَلا تُفَكِّرُ في الارْتِباطِ بأيّ رَجُلٍ، بَعْدَ أَنْ وَجَدَتْ أنّه ما مِنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يرتَقِيَ إلى رجاحةِ عَقْلِها، وفِكْرِها النيِّر، وَذَكائِها الْفَذِّ.

لكنَّهُ مُحَمّدٌ(ص)! صَحيحٌ أَنّها تَكْبُرُهُ بِخَمْسَةَ عَشَرَ عاماً، إلاّ أنّها اسْتَطاعَتْ أَنْ تَجِدَ في شَخْصِهِ الْعَظِيمِ، ما لَمْ تَجِدْهُ في غَيرِهِ مِنَ الرّجالِ، مِنَ النُّبْلِ وَالعِفَّةِ وَالشَّرَفِ والذّكاءِ والأمانةِ والصدقِ.... وَهيَ الآنَ تَسْتَقبِلُ عَمّتَهُ السَّيِّدَة صَفِيّةَ الّتي جاءَتْها مُسْتَطلِعَةً، مُسْتَفْهِمَةً عَنْ رغْبَتِها في الزّواجِ مِن ابْنِ أخيها مُحَمّد(ص) فَرَحّبَتْ بِها تَرْحيباً عَظيماً، وأَخْبَرَتْها بِفَرَحِها الكَبيرِ لَوْ تَمَّ ذَلِكَ الزّواجُ وَتَحقّقَ حُلْمُها الْجميلُ، بِأَنْ تكونَ حليلَةً لِسيِّدِ ساداتِ قُرَيْشٍ.

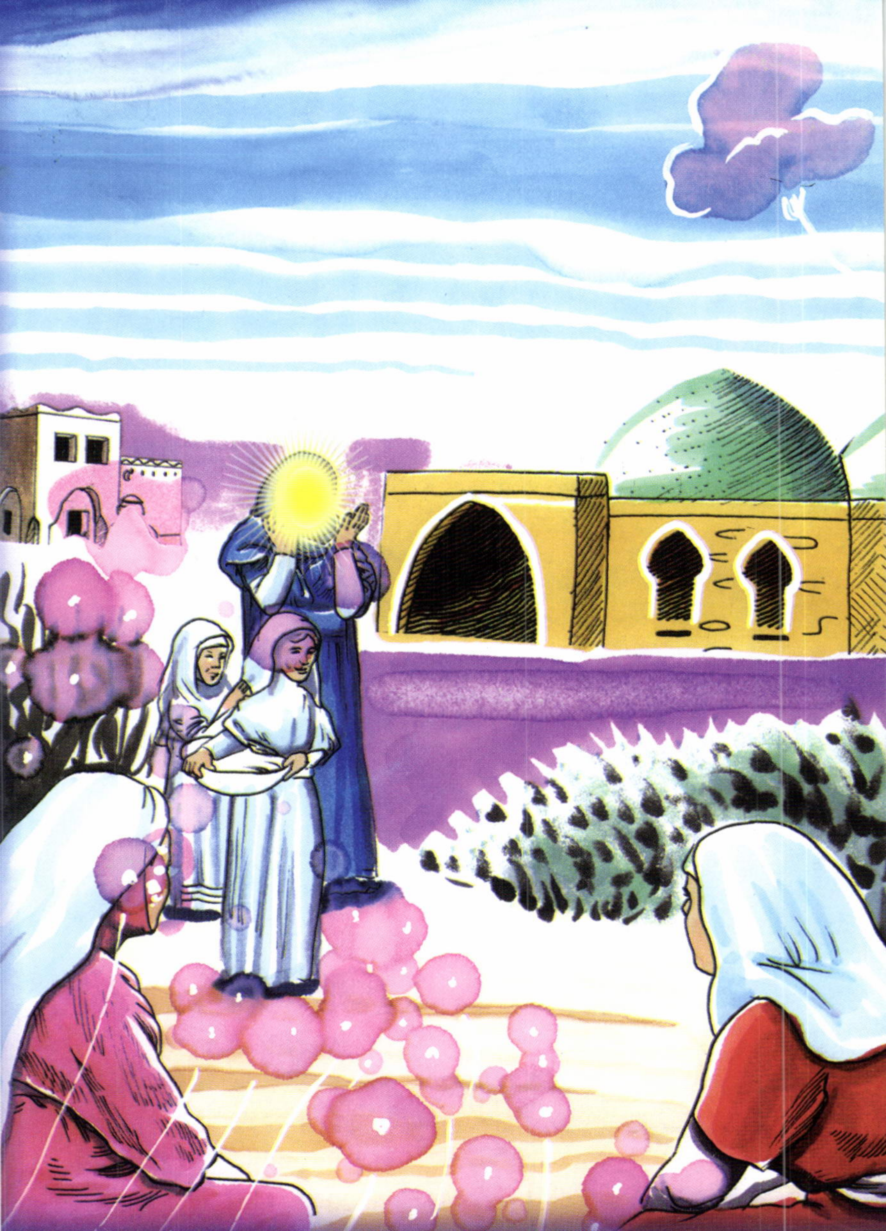
وَعادَتِ السّيّدةُ صَفِيّةُ إلى إِخْوَتِها، تَزُفُّ إِلَيْهِمْ ذلِكَ الخَبَرَ الرّائِعَ.



ذلكَ الخَبَرُ لَمْ يُبَدِّدْ دَهْشَتَهُمْ، وَهُمُ الّذينَ سَمِعوا عَنْ خَديجَة بِنْتِ خُوَيْلِدٍ(ع) الكثيرَ، الكَثيرَ..

كَيْفَ يُمكِنُ لِهذِهِ السيّدَةِ بِما تَمْلِكُهُ مِنْ صفاتٍ رَائِعَةٍ، جَعَلَتْها حُلُماً لِكُلِ أميرٍ أَوْ شَريفٍ، أَنْ تَعْرِضَ على شابٍّ فَقيرٍ يَتيمٍ أَنْ يَتزوَّجَها؟

وَهَبّ أَعْمَامُ النبيِّ مُحَمّدٍ(ص) لإتْمامِ فُصولِ الْفَرَحِ الكَبيرِ، فَأَسْرَعوا إلى بَيْتِ خَديجَةَ(ع) طَالِبينَ يَدَها مِنْ أَهْلِها، وَعَلى رَأْسِهِمْ أَبُو طَالِبِ الّذي لَمْ يَتّسِعْ صَدْرُهُ لِلفَرَحِ وَالسُّرورِ، وَهُوَ يَتقدّمُ إِخْوَتَهُ مُؤدِّياً كُلَّ ما تَقْتَضيهِ الْعاداتُ والتّقاليدُ مِنْ شُؤونِ الزَّواجِ في ذلِكَ الوَقْتِ. وَأنتَقَلَ النَّبيُّ(ص) وَخَديجَةَ(ع) إلى بَيْتٍ وَاحِدٍ، يَجْمَعُهُما فيهِ الْحُبُّ الكَبير وَالسَّعادَةُ العَظيمَةُ. حَيْثُ عَرفَتْ خَديجَةُ(ع) أَجْمَلَ أَيّامِ حَياتِها، مَعَ سَيّدِ البَشَرِ وَأسْماهُمْ عَلى الإطْلاقِ.



وَجَسّـدَتْ خَديجَـةُ بِنْتُ خُوَيْلِـدٍ(ع) مَعَ زَوجِها مُحَمّدٍ(ص) كُلَّ صِفاتِ الزَّوْجَـةِ المِثاليّةِ الصّالِحَةِ، الّتي بَذَلَتْ كُلَّ ما في وُسْعِها كَيْ تُعَوِّضَ النّبيَّ(ص) عَـنْ حِرْمانِهِ عَطْفَ الأُمِّ وحَنانِها، وَفَقْدِ الأُخْتِ الّتي لَمْ يَعْرِفْها في حَياتِهِ إلاّ مِنْ أُخُوَّةِ الرّضاعِ.

لَقَـدْ جَمَعَتْ خَديجَةُ إلى جانِبِ الزَّوْجَةِ والْحَبيبَةِ قَلْبَ الأُمِّ، وعَطْفَ الأُخْتِ وَكانَتْ كُلَّ النِّسـاءِ في إمرأةٍ واحِـدَةً ولا هَمّ لَها في الكَوْنِ كُلِّهِ يَفوقُ هَمَّ إسْـعادِ زَوجِها، وتأمينِ أسْبابِ راحَتِهِ، وإطاعَةِ أَمْرِهِ وَتَلْبيَةِ احْتياجاتِهِ.

وأَنْجَبَتِ السّـيِّدَةُ خَديجَـةُ(ع) للنّبيِّ(ص) أوْلاداً بَنينَ وبَناتٍ.

لَمْ يَشَأِ اللهُ سُبْحانَهُ لِبَنيهِ أَن يُكْمِلوا الحَياةَ فَماتوا في أيّام الطُّفولَةِ. أمّا الْبَناتُ, وَهُنَّ زَيْنَبُ وَأُمُّ كُلثوم وَرُقَيّةُ وفاطِمَةُ الزَّهْراءُ(ع) فَعِشْنَ مَعَ النّبيِّ(ص) حَياةً، عَرَفَ فيها(ص) مَعاني الأُبُوَّةِ، وَعَرَفْنَ فيها مَشـاعِرَ البُنُوَّةِ لِلنُّبوّةِ، وَما فاقَ سُمُوُّ مَقامِهِنَّ بينَ النِّساءِ مَقامٌ، أَلَسْنَ بَناتِ مُحَمَّدٍ(ص)؟



فَالزَّهْـراءُ إذاً هِيَ البِنْتُ الصُّغْرى للنّبيِّ مُحَمَّدٍ(ص) وَلِزَوْجَتِـهِ خَديجَـةَ(ع) وَهِـيَ البِنْتُ الّتي شـاءَ اللهُ سُـبحانَهُ أَنْ يَكونَ لولادَتِها شَـأنٌ مُخْتَلِـفٌ عَنْ بَقِيّةِ أَوْلادِهِ. كَيْفَ لا وَقَدْ أرادَها اللهُ سُـبحانَهُ أَنْ تَكونَ أُمَّ الأئِمَّـةِ(ع)، وَمَسـرى النّـورِ المُحَمَّـديِّ إلى أَهْلِ الأرْضِ جَميعاً.

كانَ النـبيّ(ص) قَدْ بُعِثَ رَسـولاً يَوْمَ هَبَطَ عَلَيْهِ جبْرَائيـلُ(ع) يُناديـهِ: "يا مُحَمَّدُ الْعَلِـيُّ الأعْلى يَقْرَأُ عَلَيْكَ السّـلامَ، وَهُوَ يأمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ خَديجَةَ أَرْبَعِينَ صَباحاً".

لَمْ يَكُـنِ النّبيُّ(ص) لِيَتَرَدَّدَ أَبَداً في تَنْفيذِ أوامِرِ اللهِ سُـبحانَهُ لِثِقَتِهِ بِهِ، وَيَقِينِهِ بأَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لا يُريدُ لَهُ إلاّ الخَيرَ والصّلاحَ. فَسُـرعانَ ما اتَّجَهَ نَحوَ بَيْتِ الأمِّ الّتي لَطالَما تَعَهّدَتْهُ بِالحَنانِ والْعَطْفِ، إنّها زَوْجَةُ عَمِّهِ أَبي طالِبٍ فاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ، وَأُمُّ الإمامِ عَلِيٍّ(ع).



وَرَغْمَ ما كانَ النّبيُّ (ص) يُكابِدُهُ مِنْ شَوْقٍ وَحَنينٍ إلـى زَوْجَتِـهِ خَديجَةَ ظَلَّ بَعيداً عَنْهـا يَصومُ النَّهار، وَيقومُ اللَّيْلَ. وقَبلَ أَنْ يَنْقَضِيَ الأربَعون يَوْماً، أَرْسَـلَ إلـى خديجَـةَ(ع) بِعَمّارِ بْنِ ياسِرٍ، وَقـالَ لها: "يا خديجَـةُ، لا تَظُنّي أَنَّ انْقطاعي عَنْكِ هِجْرَةً ولا قِلىً (بغض)، وَلَكِـنَّ رَبّي أَمَرَني بِذَلِـكَ لِيُنَفِّذَ أَمْرَهُ، فلا تَظُنّي يا خَديجَـةُ إلاّ خيراً، فإنَّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ لَيُباهي بكِ كِرامَ ملائِكَتِهِ كُلَّ يَوْمٍ مِراراً.

فـإذا أجَنّكِ (أخفاك) الليلُ، فَأجيفي (رُدّي) البابَ، وخُذي مَضْجَعَكِ مِنْ فِراشِكِ، فَإنّي في مَنْزِلِ فاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ.

تَلَقَّتْ خَديجَةُ(ع) رِسالَةَ النّبيِّ(ص) بِشَوْقٍ كَبيرٍ، والحُزْنُ يَهيجُ بِقَلبِها وَالشَوْقُ يُغالِبُ صَبْرَها. وظَلّتْ تَنتَظِرُ عَوْدَتَهُ بِأَمَلٍ وَابْتِهالٍ.

وَحينَ انْقَضَتِ الأيّامُ الأرْبَعونَ، هَبَطَ جبْرائيل(ع) وقالَ لِلنّبيِّ(ص): "يا مُحَمَّـدُ! العَليُّ الأعْلى يُقْرِئُكَ السَّلامَ، وَهُوَ يأْمُرُكَ أَنْ تَتأَهَّبَ لِتَحِيَّتِهِ وَتُحْفَتِهِ".



فقالَ النَّبيُّ(ص): "يا جبْرائيلُ. وَما تُحْفَةُ رَبِّ الْعالَمينَ؟ وَما تَحِيَّتُهُ؟".

فَقالَ جبْرائيلُ(ع): "لا عِلْمَ لِي".

كَانَتِ التُّحْفَةُ الإلَهيَّةُ طَبَقاً مُغَطّىً بِمنْديلِ سُنْدسٍ أَوْ إسْتَبْرَقٍ هَبَطَ بِها ميكائيلُ(ع). فَوَضَعَ ذلِكَ الطّبَقَ بينَ يَدَيِ النّبيِّ(ص). ثُمَّ أَقْبَلَ جبْرائيلُ(ع) وَقالَ: "يا مُحَمَّدُ، يَأْمُرُكَ رَبُّكَ أَنْ تَجْعَلَ اللّيْلَة إفْطارَكَ عَلى هذا الطَّعامِ".

كانَ مِنْ عادَةِ النّبيِّ(ص) حينَ يُفْطِرُ، أَنْ يَأمُرَ الإمامَ عَلِيّاً بِأَنْ يَفْتَحَ الْباب كَيْ يَأْتِيَ مَنْ يُريدُ وَيُشارِكَهُ إفْطارَهُ، لكِنَّهُ في تلْكَ اللَّيْلَةِ الْمُبارَكَةِ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَقْعُدَ عَلى بابِ الْمَنْزِلِ، وَقالَ لَهُ: "يا بْنَ أَبي طالِبٍ! إنَّهُ طَعامٌ مُحرَّمٌ إلاّ عَلَيَّ".

وَجلَسَ الإمامُ عَلِيٌّ(ع) كَما أَمَرَهُ النّبيُّ(ص)، وَبَقِي النّبيُّ(ص) لِيُفْطِرَ، فَرَفَعَ الْمِنْديلَ عَنِ الطَّبَقِ، فَإذا فيهِ عِذْقٌ(عودٌ) مِنَ الرُّطَبِ، وَعُنْقودُ عِنَبٍ.



أَكَلَ النّبيُّ (ص) مِنْ ذَلِكَ الطّعام حَتّى شَبعَ، وَشَرِبَ مِنَ الْماءِ حَتّى ارْتَوى، بَعْدَ ذَلِكَ مَدَّ يَدَهُ الْكَريمَةَ لِيَغْسِلَها، فَأَفاضَ جبرائيلُ (ع) الْماءَ عَلَيْهِ، فيما غَسَلَ ميكائيلُ (ع) يَدَهُ، وَقَدَّمَ لَهُ إسرافيلُ (ع) الْمِنْديلَ. ثُمَّ ارْتَفَعَ ما بَقِيَ مِنَ الطّعامِ مَعَ الإناءِ إلى السَّماءِ.

وَقامَ مُحَمَّدٌ (ص) لِيُؤَدّيَ الصّلاةَ، فَقالَ لَهُ جبْرائيلُ (ع): "اذْهَبْ إلى بَيْتِ زَوْجَتِكَ خَديجَةَ، فَإنَّ اللهَ قَدَّرَ أَنْ يَخْلُقَ مِنْ صُلْبِكَ في هذِهِ اللّيْلَةِ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً".

وَقامَ النّبيُّ (ص) إلى بَيْتِ زَوْجَتِهِ الّتي اشْتاقَتْ إلَيْهِ، وَاشْتاقَ إلَيْها.

أَمّا خَديجَةُ (ع) الّتي اعتادَتْ على أَنْ تَكونَ في هذا الْوَقْتِ مِنْ كُلِّ لَيْلَةٍ وَحيدَةً، وَكانَتْ كُلَّما حَلَّ اللَّيْلُ تُغَطّي رَأْسَها وَتُرْسِلَ سِتْرَها، وَتُغْلِقُ بابَها، وَتُصَلّي وِرْدَها وَتُطْفِئُ مِصْباحَها، وَتَأْوي إلى فِراشِها...



في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، كانَتِ السَّيِّدَةُ خَديجَةُ(ع) تَسْتَعِدُّ لِلنَّـوْمِ، وَإِذْ بِالنّبيِّ(ص) يَقْرَعُ الْبابَ. فَنادَتْ(ع): "مَنْ هذا الّذي يَقْرَعُ حَلَقَةً لا يَقْرَعُها إلاّ مُحَمَّدٌ؟".

فَناداهـا النّبـيُّ(ص) : "افْتَحي يـا خَديجَةُ، فَإِنّي مُحَمَّدٌ".

وَأَسْـرَعَتْ خَديجَـةُ(ع) تَفْتَـحُ الْبـابَ. والْفَرْحَةُ تُسابِقُها إلى لِقاءِ الْحَبيبِ الّذي يُؤَرِّقُ جَفْنَيْها الشَّوْقُ إِلَيْهِ.

في تِلْكَ اللّيْلَةِ حَمَلَتِ السَّيِّدَةُ خَديجَةُ(ع) بِفاطِمَةَ الزَّهْـراءِ(ع)، الّتـي وَصَفَهـا النّبـيُّ(ص) بِالحَوْراءِ الإِنْسِيَّةِ. إِذْ حَمَلَتْ بِها أُمُّها بَعْدَ أَنْ تناوَلَ النّبيُّ(ص) مِنْ طَعامِ الْجَنَّةِ. وَلِذا كانَ يَقولُ أَيْضاً: "كُلَّما اشْتَقْتُ إِلى رائِحَةِ الْجَنّةِ شَمَمْتُ رائِحَةَ ابنَتي فاطِمَةَ".

لَمْ تَشْـعُرْ خَديجَـةُ(ع) أَيّامَ حَمْلِهـا بِالزَّهراءِ(ع) بِمَشاعِرَ عادِيَّةٍ.

مُنْذُ يَوْمِ حَمْلِها الأَوّلِ عَرَفَتْ(ع) أَنَّ لِما تَحْمِلُهُ في بَطْنِها كَرامَةً عَظيمَةً وَشَأناً أَعْظَم!.



كانَتِ الزَّهْراءُ(ع) تُكَلِّمُ أُمَّها وَهِيَ جَنينٌ في بَطْنِها فَدَخَلَ النَّبيُّ(ص) يَوْماً عَلى خَديجَةَ(ع) وَوَجَدَها تَتَكَلَّمُ مِن دونَ أَنْ يَكونَ مَعَها مَنْ تُكَلِّمُهُ،

فَسَأَلَها(ص) عَمَّنْ تُحادِثُهُ؟ فَقالَتْ(ع): "ما في بَطْني، فَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعي".

فَقالَ النَّبيُّ(ص): "أَبْشِري يا خَديجَةُ، هذِهِ بِنْتٌ جَعَلَها اللهُ أُمَّ أَحَدَ عَشَرَ مِنْ خُلَفائي يَخْرُجونَ بَعْدي وَبَعْدَ أَبيهِمْ".

وَبَعْدَ مَبْعَثِ النَّبيِّ(ص) بِخَمْسِ سِنينَ وُلِدَتِ الزَّهْراءُ(ع)، كانَ ذلِكَ في الْحادي وَالْعِشْرينَ مِنْ جُمادى الآخِرَةِ.

فَإِذا كانَ لِلْحَمْلِ بالزَّهْراءِ(ع) كُلُّ هذِهِ الْقُدْسِيَّةِ، وَكُلُّ هذِهِ الأَحْداثِ الْخاصَّةِ، بِما يَتلاءَمُ مَعَ طُهْرِ الْمَوْلودَةِ، فَكَيْفَ تَكونُ الْوِلادَةُ لِمَنِ اخْتارَها اللهُ سُبْحانَهُ لِتَكونَ أُمّاً لأَحَدَ عَشَرَ خَليفَةً مِنْ خُلَفاءِ النَّبيِّ(ص).



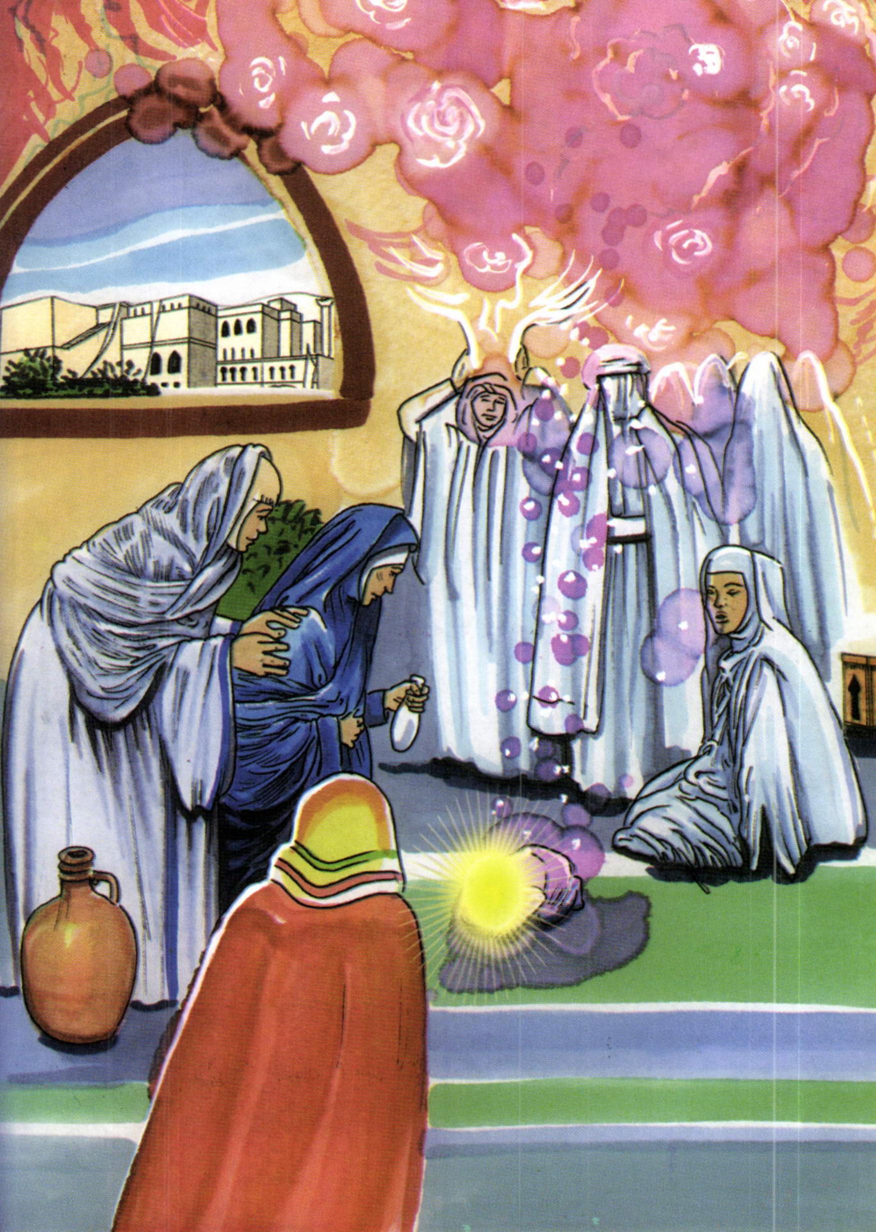
حينَ شَعَرَتْ خَديجَةُ(ع) بِدُنوِّ مَوْعِدِ وِلادَتِها، أَرْسَلَتْ إِلى الْقَوابِلِ مِنْ نِساءِ قُرَيْشٍ كَيْ يُساعِدْنَها عَلَى الْوَضْعِ. فَأَبَيْنَ جَميعاً لِحِقْدِهِنَّ عَلى النَّبيِّ مُحَمَّدٍ(ص)، إِذْ كانَتِ الدَّعْوَةُ إِلى الإِسْلامِ في مَهْدِها وَالْمُؤْمِنونَ قِلَّةٌ.

وَبَيْنَما السَّيِّدَةُ خَديجَةُ(ع) تُعاني ما تُعانيهِ مِنْ آلامِ الْوَضْعِ وَهِيَ وَحيدَةٌ دَخَلَتْ عَلَيْها نِسْوَةٌ أَرْبَعٌ، عَلَيْهِنَّ مِنَ الْجَمالِ وَالنّورِ ما لا يوصَفُ.

قالَتْ لَها إِحْداهُنَّ: "أنا أُمُّكِ حَوّاءُ". وَقالَتِ الثّانِيَةُ: "أنا آسِيَةُ بِنْتُ مُزاحِمٍ". وَقالَتِ الثّالِثَةُ: "أنا كَلْثَمُ أُخْتُ موسى". أَمّا الرّابِعَةُ فَقالَتْ: "أنا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ".

ثُمَّ قُلْنَ لَها: " بَعَثَنا اللهُ إِلَيْكِ لِنَلِيَ مِنْكِ ما تَلي النِّساءُ مِنَ النِّساءِ".

فَجَلَسَتْ واحِدَةٌ عَنْ يَمينِها، وَأُخْرى عَنْ يَسارِها، وَالثّالِثَةُ بَيْنَ يَدَيْها وَالرّابِعَةُ مِنْ خَلْفِها.

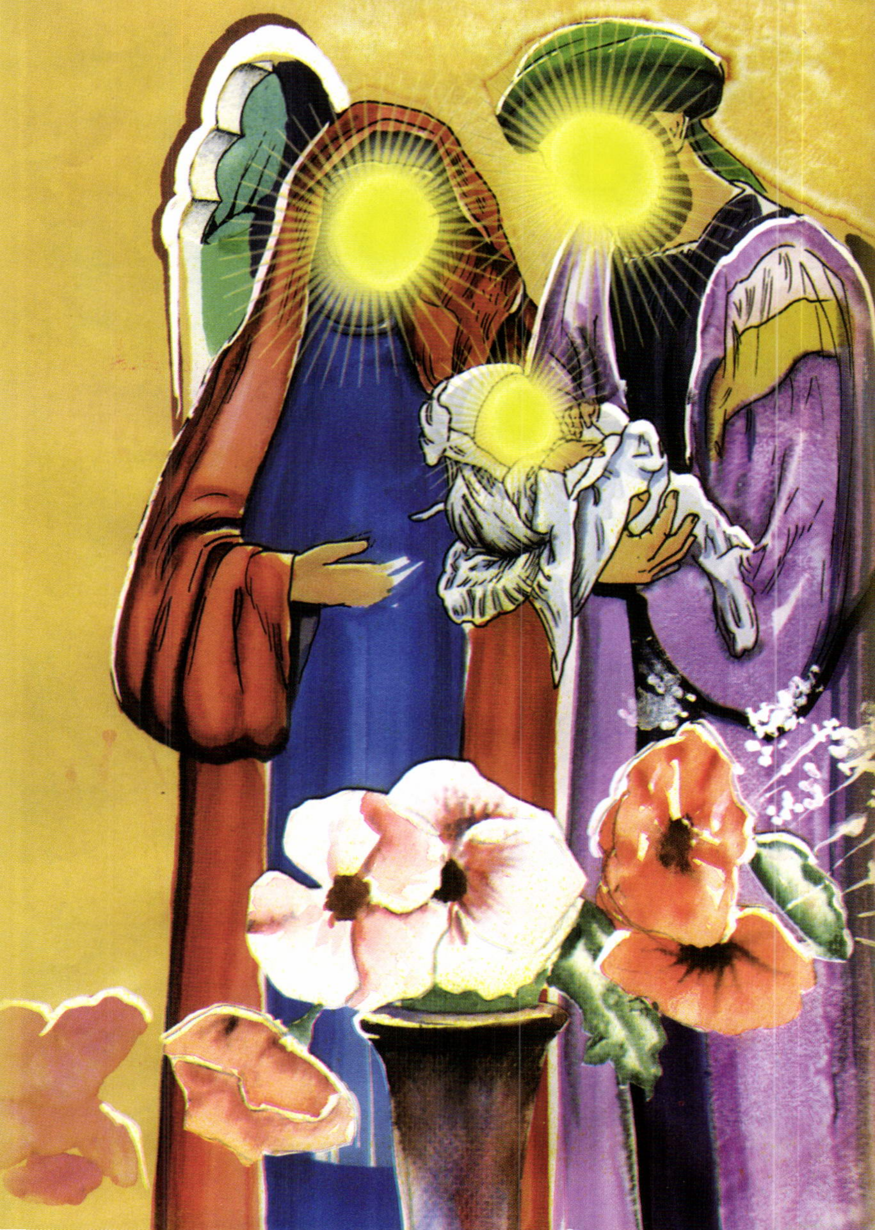


بَعْدَ ذلِكَ وُلِدَتِ الزَّهْراءُ(ع) وَوَقَعَتْ على الأرْضِ ساجِدَةً رافِعَةً إِصْبَعَها.

وَما أنْ أَطَلَّتْ عَلى الْكَوْنِ حَتّى أَشْرَقَ مِنْها النّورُ الّذي لَمْ يَتْرُكْ مَكاناً في شَرْقِ الأرْضِ وَلا غَرْبِها إلاّ وَأَضاءَهُ.

بَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَتِ الْحُورُ العِينُ، وَعَدَدُهُنَّ عَشْرُ حُورِيّاتٍ. وَكُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ تَحْمِلُ بِيَدِها طِشْتاً وإِبْريقاً مِنَ الْجَنّةِ. وفي الإبْريقِ ماءٌ مِنَ الكَوْثَرِ، فَغَسَلَتْ إِحْدى النِّساءِ الزّهْراءَ(ع) بِماءِ الْكَوْثَرِ، وَأَخْرَجَتْ خِرْقَتَيْنِ أَشَدَّ بَياضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَطْيَبَ رِيحاً مِنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ، فَلَفَّتْها بِواحِدَةٍ، وَقَنّعَتْها بِالثّانِيَةِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَتْها فَنَطَقَتْ(ع) بالشَّهادَتَيْنِ، وَراحَتِ الْحورُ العينُ يَنْشُرْنَ الْبُشْرى بَيْنَهُنَّ، وَبَشَّرَ أَهْلُ السّماءِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِولادَةِ فاطِمَةَ(ع) وَقَدْ رَأَتِ الْملائِكَةُ نُوراً لَمْ تَرَهُ مِنْ قَبْلُ.

بَعْدَ ذَلِكَ قالَتِ النّسْوَةُ لِخَديجَةَ(ع): "خُذيها يا خَديجَةُ طاهِرَةً مُطَهَّرَةً زَكِيّةً مَيْمونَةً، بورِكَ فيها وَفي نَسْلِها".



وَما أَشَدَّ فَرْحَةَ خَديجَةَ(ع) إِذْ نَظَرَتْ في وَجْهِ وَليدَتِها لِتَرى صورَةً مِنْ زَوْجِها مُحَمَّدٍ(ص) فَشَكَرَتِ اللهَ تعالى وحَمِدَتْهُ.

وَقَرَّتْ عَيْنُ النَّبيِّ(ص)، واغْتَبَطَ قَلْبُهُ وَهُوَ يَضُمُّ صَغيرَتَهُ إِلى صَدْرِهِ باحثاً لَها عَنِ اسمٍ يَليقُ بِنورِها السَّماوِيِّ، فَأَوْحى اللهُ تعالى إِلى مَلَكٍ مِنْ مَلائِكَتِهِ كَيْ يُنْطِقَ النَّبيَّ(ص) بِاسْمِها، فَسَمّاها: "فاطِمَةَ".

وَقَدْ أَوْضَحَ النَّبيُّ(ص) مَعْنى ذلِكَ الاسْمِ لِلنّاسِ بِقَوْلِهِ: "سُمِّيَتْ فاطِمَةُ، لأَنَّ اللهَ فَطَمَها وَذُرِّيَّتَها مِنَ النّارِ. مَنْ لَقِيَ اللهَ مِنْهُمْ بِالتَّوْحيدِ وَالإيمانِ بِما جِئْتُ بِهِ".

أَمّا خَديجَةُ(ع) الّتي اعْتادَتْ حينَ تَضَعُ طِفْلاً عَلى أَنْ تَدْفَعَهُ لِمَنْ تُرْضِعُهُ، فَلَمْ تَفْعَلْ ذلِكَ حينَ وَضَعَتِ الزَّهْراءَ(ع). بَلْ أَرْضَعَتْها وَحْدَها، وَلَمْ تَسْمَحْ لِمُرْضِعَةٍ أُخْرى بِإِرْضاعِها.

في حِضْنِ أُمِّها السَّيِّدَةِ الْفاضِلَةِ، وفي كَنَفِ أَبيها آخِرِ الأنبياءِ عاشَتِ الزَّهْراءُ(ع) طُفُولَةً عَذْبَةً جَميلَةً.



عَرَفَها النّاسُ فيها طِفْلَةً في عَقْلِ فَتاةٍ ناضِجَةٍ، فَكَثُرَتْ أَسماؤُها كَما كَثُرَتْ صِفاتُها: إنَّها فاطِمَةُ الّتي فَطَمَها اللهُ وَفَطَمَ مَنْ أَحَبها مِنَ النّارِ، وَهِيَ الصِّدِّيقَةُ الّتي أَعْطاها اللهُ سُبحانَهُ مَرْتَبَةً خاصّةً مِنَ العَلاءِ والسُّمُوِّ والقَداسَةِ، وهِيَ المُبارَكَةُ كَثيرَةُ الْخَيْرِ الّتي جَعَلَ اللهُ سُبْحانَهُ في ذُرّيَّتِها ذُرِّيَّةَ مُحَمّدٍ(ص) وَهِيَ الطّاهِرَةُ الّتي أَذْهَبَ اللهُ عَنْها الرِّجْسَ وَطَهّرَها تَطْهِيراً. وَهِيَ الزّكِيَّةُ الّتي بارَكَ اللهُ لَها بالنُّمُوِّ وَالزِّيادَةِ، وَأَكْثَرَ مِنْ نَسْلِها(ع)، وَهِيَ الرّاضِيَةُ بِثَوابِ اللهِ تَعالى وَبِما أَعَدّهُ لَها وَبِقَضائِهِ وَقَدَرِهِ وَمَشيئَتِهِ، وَهِيَ المَرْضِيّةُ بِأَعْمالِها عِنْدَ اللهِ، وَبِطاعَتِها لَهُ.

وَهِــيَ الْمُحَدَّثَــةُ الّتي اعْتَرَفَتْ مِــنْ عُلومِ النُّبوَّةِ فَعُلّمَتْ، وَقَدْ كانَتِ المَلائِكَةُ تَهْبِطُ مِنَ السّــماءِ وَتُناديهــا، وَهِيَ الزّهْراءُ الّتي أَزْهَــرَ نورُ وَجْهِها عَلــى أَهْلِ الأرْضِ، وَهِيَ البَتــولُ الّتي لَمْ تَعْرِفِ الحَيْضَ ولا النّفاسَ، وَهِيَ الْعَذْراءُ الّتي جَعَلَ فيها اللهُ سُبْحانَهُ ما في الْحورِ الْعينِ مِنْ صِفاتٍ. هذِهِ هِيَ الزّهْراءُ(ع) فَكَيْفَ مَرَّتْ أيّامُ طُفولَتِها؟

